سومر

الجزء الاول والثاني - المجلد الخامس والاربعون

١٩٨٧ - ١٩٨٨

آشور بانيبال ، مكتبته وثقافته

رياض عبد الرحمن الكرمي

أصل كلمة مكتبة في المصادر المسمارية :

إن الوثائق التي كان يراد لها أن تبقىٰ محفوظة طويلاً ، كانت توضع داخل جرار فخارية وسلال معمولة من القصب والطين . وتعرف طريقة الحفظ هذه في اللغة السومرية بأسم « پيسان ـ دب pisan-dub »[1] وفي اللغة الأكدية عرفت بأسم « كركناكوّ girginakku » وربما يكون الاسم الذي اطلق على أمثال هذه الجرار الفخارية ، قد اطلق أيضاً على المكتبات التي تعرف بأسم « كزكناكو »[2] .

أما مدير المكتبة فربما كان كاهناً يدعى « راب ـ كركناكيّ rab-girginakki »[3] حيث كان ذا مكانة خاصة في البلاط الآشوري . وتوجد تسمية اخرى لأسم مكتبة في اللغة الاكدية هي « كركناك girginakk » وفي اللغة السومرية وردت تسمية المكتبة بصيغة «im-gu-la»[4] .

حفظ الوثائق :

كانت الرقم الطينية تحفظ في سلال معمولة من الطين والقصب ، وتوضع معها بطاقة تعريفية توضح مضامينها المختلفة ، وقد وجدت نماذج منها في (تل قوينيجق) في الموصل وتل حرمل (قرب بغداد الجديدة)[5] كما حفظت الرقم داخل جرار فخارية وقد عثر في كيش (تل الاحيمر) على جرار مكسورة مرتبة حول جدران بعض الغرف ، وفي داخل بعضها مجموعة من الرقم صنفت حسب مضامينها كالنصوص القواعدية والدينية واللغوية[6] .

وفي بعض الاحيان كانت تحفظ الرقم داخل صناديق ذات أغطية مدون عليها من الخارج عناوين الرقم وفي بعضها الآخر وضعت بطاقة تعريفية بمضامينها . وكانت الرقم توضع في كوة داخل الجدران أيضاً . ولقد تم العثور في التنقيبات الاخيرة للمؤسسة العامة للآثار والتراث في بيت الكاهن في آشور على نصوص ادبية و معجمية ، واللوح الرابع من قانون حمورابي داخل تلك الكوة ، أما المجاميع الكبيرة من الرقم فكانت تحفظ في أماكن خاصة سميت في اللغة السومرية « أي ـ دبا e-dub-ba » وفي الاكدية «bit:tuppi» وتعني (بيت الرقم) وهو الاسم نفسه الذي يطلق على المدرسة ، ومهما يكن من أمر فإن الوثائق والعقود الرسمية الخاصة بالمعبد أو القصر ، كانت تحفظ في مكان خاص ملحق بها ويقوم بأدراتها مدير يكون من كبار موظفي الدولة[7] .

ومن هنا يتضح لنا أن الوثائق الرسمية والقانونية كانت تحفظ في القصر أما النصوص المدرسية أو الخاصة بالطقوس والتراتيل الدينية فكانت تحفظ في المعابد والمدارس حيث عثر على مجاميع منها في معبد « أي ـ زيدا » المكرس لعبادة الآله نايو (اله الكتابة والمعرفة) في مدينة نينوى وكذلك في معبد « نابو شخاري » في بابل . اذ أن الرقم حفظت في رفوف موازية

---

(١) R.Labbat ,Manuel Depigraphie Akkadienne ,paris, 1963,p.185.

(٢) op.cit.p.189.

(٣) w.Budge ,Baby lonion life and history ,Lonton, 1925,p.200.

(٤) AHW,p.2846.

(٥) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » ، حضارة العراق ط ، بغداد ، ١٩٨٥ ص ٢٦٥ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٧) المصدر السابق ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

للجدران . وفي عقرقوف تم العثور على مجموعة من الرقم الطينية مصفوفة على الرفوف الواحدة بجانب الاخرى ، وبعضها موضوعة الواحدة فوق الاخرى ، وكانت مثل هذه الرفوف تغطى بحصير أو تطلى بطبقة من القار لمنع تسرب الرطوبة الى الالواح . وعثر أيضاً في احدى الغرف في سپار على صفوف من الرقم الطينية وضعت على رفوف وربطت معها بطاقة تعريفية بوساطة حبل مبروم معمول من بعض الألياف النباتية ، وهكذا الحال في الوركاء ونفروكيش وفارة وغيرها من المواقع التي ربما كانت مكتبة أو مركزاً لحفظ الوثائق .(٨)

مكتبة آشور بانيپال في نينوى : ـ

تعد خزانة (مكتبة) نينوى من أقدم خزائن كتب الملوك في العراق ، وأجلها شأناً وأشملها موضوعاً ، عني بجمعها وتوسيعها الملك الآشوري آشور بانيپال وقد اودعها في عاصمته نينوى(٩) .

كان أول من نقب في موقع قوينجق القنصل الفرنسي في الموصل بول بوتا عام ١٨٤٢ وفي عام ١٨٤٨ كان الموقع قد كشف وكان السير هنري لايارد يتراسل مع بوتا الذي أمده بمعلومات ومخططات عن ذلك الموقع ولقد ساعد ذلك لايارد في الكشف عن قصر الملك الاشوري سنحاريب وفي أطلاله أماط اللثام عن محتويات قيمة من المكتبة الملكية التي كانت محفوظة بتنظيم بالغ الدقة مدة ٢٤٠٠ سنة ، ولقد نقل الملك أشور بانيپال الكثير من الالواح من قصر جده سنحاريب وأبيه أسرحدون في نينوى ، ومن سائر البلاد المعروفة في ذلك الوقت ، حتى امتلأت قاعات المكتبة بالرقم التي بلغ عدد ما إكتشف منها أكثر من ٢٨ ألف رقيم طيني ، حفظت جميعها في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر .(١٠) .

كان لايارد محظوظاً عندما عثر في قصر سنحاريب على قاعتين تؤدي أحداهما إلى الاخرى ، حيث وجد فيها الاف الرقم الطينية وعدداً كبيراً من كسرها غطت أرضيتها إلى نحو أكثر من قدم فدعا هاتين القاعتين بدور السجلات(١١) . والقاعتان هما (XL = ٤٠) و (XL1 = ٤١) من قصر سنحاريب في نينوى(١٢) .

ولقد ضمت المكتبة الملكية في نينوى كل العلوم والاداب القديمة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر (التراتيم ، المعاجم اللغوية ، نصوص طبية وفلكية وتأريخية ووثائق أدارية) . أن الجاميع الرئيسة وجدت في قصر سنحاريب وقد تركت خلال نهب مدينة نينوى عام ٦١٢ ق.م .

وهذه المجموعة من الرقم أصبحت مفتاحاً لكل عالم المعرفة القديمة وحجر الزاوية لعلم الاشوريات(١٣) . كما لوحظ في آثار هذه المكتبة أن في نهاية بعض الالواح ، ما يشير إلى أنها تعود إلى مكتبة أخرى هي مكتبة « معبد نابو » بنينوى ، ومما تجدر الاشارة إليه هو أن الاف الالواح ترجع في أصلها إلى مكتبتين كانتا في نينوى ، الاولى مكتبة أشوربانيپال وأكثرها مما جمعه هذا الملك أيام حكمه ، وأقلها مما ورثه عن اسلافه ، والمكتبة الثانية هي « مكتبة معبد نابو » غير أنه ضمت أحداهما الى الاخرى وجعلت في قصر هذا الملك(١٤) .

وبذلك يمكن تقسيم الرقم التي عثر عليها في قوينجق الى ثلاثة اقسام :

١ ـ مجموعة قوينجق التي عثر عليها في قصر الملك سنحاريب .
٢ ـ المكتبة الملكية التي عثر عليها افي قصر أشوربانيپال .
٣ ـ مكتبة معبد نابو في نينوى(١٥)

وبعد مرور سنة أو سنتين حصل هرمز رسام على نتيجة مشابهة في قصر أشوربانيپال بكشفه عن مكتبة هذا الملك ، إضافة الى أنه تم الكشف في مكتبة معبد نابو على عدد جيد من قطع الرقم الطينية المتناثرة في داخله وقريباً منه(١٦) .

أن مكتبة أشوربانيپال التي كشفها رسام في قصره إحتوت على رقم طينية كتبت بمختلف الاشكال والحجوم ، وقد رتبت الكبيرة منها في أفضل ترتيب وأغلبها ختم بالاختام الملكية . وبين هذه المجموعة وجدت رقم بابلية من إسطورة الخليقة والطوفان(١٧) .

وتوصل رسام أيضاً إلى إكتشاف الرقيم الذي تضمن النص الخاص بالطوفان في القصر الشمالي كما عثر الباحث سمث على

---

(٨) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » حضارة العراق جـ ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٨ .

(٩) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، طبع مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٤٨

(١٠) H-Layard, Nineveh and its ramnis, NewYork, 1849, PP.31-35.

(١١) H.Layard, Discoveries in the Ruins of Nineveh and Badylon, London, 1853, pp.344-345

(١٢) C.Thompson, "The British museum excavation in Neneveh" 1931-32, AAA, vol.XX, Liverpool, 1933, P-110.

(١٣) W.Gordon, Layard of Nineveh, London, 1963, p. 486.

(١٤) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق . بغداد . ١٩٤٨ ، ص ٥٣ .

(١٥) C.Thompson, "The British museum excavation in Neneveh 1931-32" AAA, vol-XX, Liverpool, 1933, P-110.

(١٦) C-Thompson, "The British museum excavation in Nineveh 1931,32," AAA, vol.XX, Liverpool, 1933, P.110.

(١٧) H.Rassam, Ashur and the Land of Nimrud, Lonaon, 1971, p.31.

رقيم فيه « تحذيرات الى الملوك أزاء ظلمهم » وكذلك على بعض الرقم من ملحمة كلكامش وزهاء (٣٠٠٠) كسرة من رقم أخرى في القاعات حول « قاعدة المكتبة » التي إكتشفها لايارد في قصر سنحاريب أضافة الى العثور على رقيم يتضمن نص فأل على عمق ٢٥ قدم أسفل السطح ليس بعيدا عن الحافة الشمالية الغربية لمعبد عشتار في نينوى وذلك عام ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠[١٨] .

ولدى قيام المختصين بالدراسات اللغوية بدراسة مجاميع من هذه الرقم الطينية وجدوا أنها يمكن أن تصنف الى مجموعتين تشتمل أولها على « الوثائق الارشيفية » مثل الرسائل والعقود الأقتصادية والنصوص التأريخية ، ويتألف القسم الثاني من « الوثائق الملكية » المتضمنة مواضيع أدبية ودينية وعلمية ويشكل القسم الأخير الجزء الاهم من المجموعة الملكية وتزداد أهميته عندما نعلم أن العديد من تلك الوثائق هو في الحقيقة نسخ لرقم سومرية وبابلية جرى أستنساخها في نينوى بناء على طلب الملك أشوري آشوربانيپال وبأمر منه[١٩] .

أن أقدم الملوك الآشوريين الذين سعوا الى تكوين مكتبة للرقم خاصة بهم ، هو الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م) فقد عثر على الواح كتبت في عهده وعليها ختم مكتبته[٢٠] . ومن الجدير بالذكر أن الملك الآشوري سنحاريب قد أضاف الى مكتبة أبيه عدداً من الرقم . وكذلك فعل أسرحدون إذ اضاف الى محتوياتها نصوصاً تمثل الثقافة القديمة ولاسيما الآشورية منها ، إلا أن أشور بانيپال الملك المحارب المثقف قد عززها وخصص لها جناحاً ضخماً من قصره الفخم وبعث بالرسل للبحث عن الوثائق والسجلات وآداب الثقافات التي سبقت عصره[٢١] .

ولقد نجح هذا الملك في أن يجمع لنفسه مكتبة ضخمه ، وكان من فرط أهتمامه ورعايته للثقافة والعلم أن بعث بنساخه الى مراكز العلم والأدب في زمنه كبابل وبورسپا وأكد وكوثى ونفر وآشور وغيرها فنسخوا له كل التأليف المهمة وجمعوا له أشتات العلم ودونوها وحفظوها في مكتبته[٢٢] .

أن أغلب الملوك والحكام دونوا أعمالهم وسنوات حكمهم في سجلات عُدّت مصادر لتأريخ العراق القديم ، كما عنوا بمجالات المعرفة المختلفة إلا ان تلك المدونات كانت مشتته في القصور والمعابد في مختلف مدن العراق القديم ، ولم يتسن جمعها بشكل منظم الا في عهد الملك أشوربانيپال الذي نجح في أن يكون منها مكتبته الشهيرة في نينوى[٢٣] .

قام ملوك العراق القدامى بتشجيع وبعث العلوم والفنون والآداب وأخذوا يبعثون بكتابهم الخصوصيين الذين أخذوا يجوبون البلاد وذلك لغرض جمع كل النصوص المهمة الموجودة في المعابد[٢٤] . ومن المهم ذكره أيضاً أن الالواح الطينية التي عثر عليها لايارد خلال تنقيباته في تل قوينجق (نينوى) تعود الى مكتبة نينوى ، أما تلك التي عثر عليها هرمز رسام فهي تعود الى مكتبة الملك الخاصة أي (مكتبة) أشوربانيپال[٢٥] .

وحالما تصل الرقم الطينية الى العاصمة الآشورية كان يجري أستنساخها بالخط المساري الدقيق الذي تتصف به هذه المرحلة ، إلا أن عدداً من النصوص جرى استنساخه بالنص حرفياً وكثيراً ما نصادف نصوصاً تتخللها فراغات لجمل او كلمات تعذرت قراءتها في النص الاصلي ، مما حدا بالمستنسخ الى اضافة تعليقاته الخاصة اليها أو تذييل هامشها بعبارة « ال ادي » (لم أفهم) أو « خيپو لابيرو » (كسر قديم) وفي بعض الاحيان لم يكن الكاتب يستنسخ النص على الرقم الطينية بل على سطح من الشمع المنشور فوق ألواح خشبية أو عاجية يجري ربط عدة ألواح منها لتشكل معاً قطعة واحدة قابلة للطي مايشبه الكتاب[٢٦] .

وكان يجري عادة حفظ الوثائق ذات المضامين المختلفة والرسائل في الجرار أو السلال المعمولة من الطين والقصب إلا أن النصوص المكتبية تبدو وكأنها قد رتبت على رفوف خاصة بها ، ولأنها وجدت متناثرة على أرضيات المباني المخربة لذلك نجد صعوبة تامة في فهم طريقة التصنيف المطبقة عليها ومع ذلك يمكن التعرف على الرقم العائدة الى المجموعة نفسها حيث كان يجري ترقيمها أو اختتامها بسطر تابع يذكر الجملة الاولى للرقيم التالي مثال ذلك أننا نجد أن الرقيم الثالث لـ « أينما أيلش » (قصة الخليقة) ينتهي بهذه الجملة : « وأقاموا له غرفة أميرية » والتي يستهل بها نص الرقيم الرابع للاسطورة نفسها وكما نرى أن الرقيم

---

(١٨) C. Thompson, op. cit. PP. 110-111.

١٩ جورج رو : العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٤٧٥ .

(٢٠) A.T.Olmstead, History of Assyria, London, 1960,P. 270.

(٢١) British museum, AGuide to the Babylonian and Assyrian Aniquites ,London, 1908, P-39.

(٢٢) M.Jastrow, "Did Babylonian temples have Libraries," Jaos, Vol. XXvII, U.S.A, 1906, p.148.

(٢٣) د . طارق مظلوم ومحمد علي مهدي : نينوى ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٤١ .

(٢٤) ادوردكيرا : كتبوا على الطين ، ترجمة : محمود الأمين ، بغداد ، ١٩٦٤ ص ١٧١ ـ ١٧٤ .

(٢٥) W.Budge, the rise and Progress of Assyriology, London, 1925, p.82.

(٢٦) جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨ .

الحادي عشر للنسخة الاشورية لملحمة كلكامش ينتهي بالخاتمة التالية :

« الرقيم الحادي عشر لـ « هو الذي رأى كل شيء » لمجموعة كلكامش ، كتبت طبق الاصل ودققت ، قصر آشوربانيپال ، ملك الكون ، ملك الآشوريين »[٢٧] .

ومن غير المحتمل أن يكون الملك أشور بانيبال قد أستخدم مكتبته لانه قليلاً ماكان يتوفر له الوقت أو تتملكه الرغبة في مطالعة الألاف من الرقم المجمعة وفق أوامره بسبب سعة الامبراطورية الآشورية وأنشغاله في ادارة شؤونها المختلفة ، حتى وان كان قد قام فعلاً بـ « فك رموز الاحجار العائدة الى ما قبل الطوفان » لأدخال البهجة الى نفسه أو بقراءة « قصص الملاحم العظيمة لكلكامش واتانا وأداباً » ولابد لمكتبة القصر من أن تكون مفتوحة أمام كتبة البلاط والمعابد حيث كان بوسعهم التزود من المصادر المدونة التي كانوا يبتغونها وربما كانت المكتبة جزءاً من « أكاديمية » (بيت هومي ــ بيت المعرفة) في تل حرمل من النوع الذي أزدهر في مدن عديدة وفي عصور مختلفة ، أسست لجذب وجمع علماء وادي الرافدين .[٢٨]

ومن المؤسسات الماليّة الخاصة بالجمع والتأليف خزانات الكتب التي يسمونها بيت الألواح أو الرقم « أي ــ دبا » في السومرية ودوز السجلات لحفظ الوثائق وكان للمعابد الشهيرة مؤسسات مثل هذه ملحقة بها وكذلك كان لقصور الملوك مثل خزانة الكتب الملكية التي وجدت في قصر الملك الآشوري آشور بانيبال[٢٩] .

وكانت مكتبة آشور بانيبال تضم بين ثناياها كثيراً مما عرفه البشر من أفانين العلم والأدب والدين وفيها مصنفات في التأريخ والاخبار والرسائل والسحر والصرف والنحو والأدب والشعر والقانون والتنجيم والفلك والجغرافية والتأريخ الطبيعي والصلوات والطقوس والاساطير والقصص ، كقصة الخليقة والطوفان . ويمكن القول : إن هذه المكتبة تعد بحق « دائرة معارف » متكاملة تحوي أهم ما توصل اليه الأقدمون في حقول المعرفة البابلية ــ الآشورية[٣٠] .

ومما لاشك فيه أن مكتبة آشور بانيبال تشهد على وجود مدرسة معبد نشيطة معالة مرتبطة بمعبد مردوخ في بابل أو مدارس تابعة للمعابد في بلاد بابل ، إذ اخذت منذ ذلك الوقت تصدر عن بابل نصوصاً كثيرة وهي عبارة عن الواح تحتوي على تمارين وتعليقات اعدت لترجمة وتفسير تلك النصوص . ولقد وجدت في المكتبة الملكية بأعداد كبيرة ، منها جملة كتابات تتضمن القواميس والمعاجم والتأليف النحوية في التصريف وغيره ، وكذلك الكتب المدرسية ، وهذه لم تكن آشورية في أصولها. بل ينبغي لها أن تكون قد استنسخت من نصوص كانت محفوظة في مدارس المعابد في بلاد بابل[٣١] .

يقول برستد (أن مكتبة أشور بانيبال تُعدُ في الحقيقة ، أول مكتبة منظمة وجدت في آسيا وقد اشتملت على مواضيع مختلفة مابين دينية وعلمية وأدبية ، جمعت ونسقت بأمر الملك ولقد فاق الآشوريون البابليين في مضمار جمعهم للعلوم والآداب ولم يكونوا فقط مجرد نقلةٍ عنهم[٣٢] . أن المدارس في بابل كانت المصادر الرئيسة ، التي جمع منها الكتبة الآشوريون مادتهم ومعلوماتهم وهكذا يكون ماوجد في هذه المكتبة من قوائم عديدة بأسماء الالهة والمواد بشتى أنواعها .واسماء البلدان والمدن والجبال والانهار والطيور والنباتات . . .الخ تلك القوائم التي عثر عليها من بين النصوص الموجودة في هذه المكتبة ، أنما يعود للنوع للسابق نفسه وكذلك المجموعات الكبيرة من النصوص الطقوسية والتوضيحات المفصلة للشعائر المعقدة ، التي لها علاقة بالخطيئة والقرابين التي تطهر الذنوب ويظهر من هذه النصوص أنها كانت قد اعدت لتعليم تلاميذ المعبد أكثر من أنها استخدمت كتباً يسترشد بها الكهنة وهكذا يجب أن ترجع في اصولها ــ الى أنها لم يؤلفها معلمون آشوريون ــ لمدارس المعابد في جنوب وادي الرافدين ؛ وكذلك بالنسبة للعدد الكبير من النصوص التي تشير الى أنها مقتبسات أو نسخ غير كاملة أو أنها تحمل أسم (نسخو Nishu) اذ يبدو أنها كانت تطبق في النسخة المدرسية للنص[٣٣] .

ومما لاشك فيه أن المراكز البابلية هي المصدر الرئيس الذي زود مكتبة أشور بانيبال بالنسخ ونستطيع أن نكون فكرة عن هذا ، وذلك عندما نلاحظ أن كثيراً من التراتيل والرقى والنصوص التنجيمية وحتى الطبية هي تمارين مدرسية أو أنها

---

(٢٧) طه باقر : ملحمة كلكامش ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ .
جورج رو : المصدر السابق ص ٤٧٧ ــ ٤٧٨ .
(٢٨) جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٧ ــ ٤٧٨ .
(٢٩) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٣١٣ .
(٣٠) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٥٠
جورج رو : العراق القديم (مترجم ص ٤٧٩ .
(٣١) M.Jastralv, "Did the Babylonian temples hawe Libraries",JAOS vol-XXVll,U.S-A, 1906,P.180.
(٣٢) جيمس برستد : العصور القديمة ، ترجمة : داود قربان ، بيروت ، ١٩٢٦ ، ص ١٢٢ .
(٣٣) M.Jastraw, "Did the Babylonian temples have Libraries",JAOS, vol.XXVll. U.S.A,1906,pp.180-81.

تؤلف جزءاً من مجموعات المدرسة وهي بذلك تعد من لوازم مدرسة المعبد أكثر مما تعود الى مخزن الالواح في المعبد[٣٤] .

ان أشور بانيبال يعد بحق أول ملك أشوري إهتم بالعلم والثقافة كما إهتم بالحرب والرياضة وبهذا يصح أن نطلق عليه إسم الملك المحارب المثقف[٣٥] .

ان ملوك أشور كانوا متعطشين للثقافة ، وانهم قد أشرفوا بانفسهم على عملية بحث واسعة النطاق عن النصوص القديمة لاسيما بحوث البلدان ذات الحضارة الراقية كبلاد بابل وسومر وأكد[٣٦] .

ولقد ورد في رسالة من أحد الملوك وربما يكون أشور بانيبال نفسه الى شخص يدعى «**شادونو**» تتضمن ما يأتي :

« كلمة الملك الى (شادونو Shadunu) أحوالي جيدة وأرجو أن تكون بخير فعندما تتسلم هذه الرسالة ، خذ معك هؤلاء الاشخاص الثلاثة (أسماؤهم مذكورة) وكذلك الاشخاص المتضلعين في مدينة بورسيا . ثم أبحث عن جميع الرقم ولاسيما تلك الموجودة في بيوتهم وجميع تلك التي أودعت في معبد أيزيدا . . . . وأجمعوا لي الالواح الثمينة التي هي موجودة في خزانات كتبكم والتي لاتوجد في بلاد أشور وارسلوها لي . ولقد كتبت الى الموظفين والمراقبين وسوف لن يمتنع أي شخص من أعطائكم أي لوح تريدونه ، وعندما يقع نظرك على لوح أو مدونة أخرى ، كتب عليها نص طقوسي مما لم يسبق ان كتبت لك عنه وتعتقد أنه مفيد ، ليكون في قصري ، أبحث عنه ، التقطه وابعثه لي »[٣٧] .

ورد في رسالة أخرى من أحد الكتبة معنونة الى الملك أشور بانيبال يقول فيها الكاتب :

« سنسير على تعليماتكم الموجهة الينا ، بخصوص جمع الرقم المدونة باللغة السومرية »[٣٨]

ورسالة أخرى فيها تعليمات صادرة من الملك الى أحد موظفيه :

« أجلب الرقيم الذي فيه تعليمات رسمية من ملك بابل الى مدينة بورسيبا »[٣٩] .

وهناك رسالة أخرى أيضاً موجهة من أحد الكتبة الى الملك يذكر فيها :

« حسب أوامركم سوف أجلب الرقيم الطيني الخاص بالملك حمورابي ، علماً بأن النسخة الاصلية لهذا الرقيم كانت قد تلفت ، لذلك كان الملك حمورابي قد أمر بإستنساخ نسخة جديدة لها »[٤٠]

ولابد لنا من الاشارة الى أن استعارة الرقم من المكتبات كان مألوفا عند العراقيين القدماء ، حيث كان سابقا يسجل على رقيم صغير اسم النص المعار ، واسم الشخص الذي إستعاره أو تكتب إشارة على الرقيم نفسه تمت إستعارة هذا الرقيم من قبل الشخص الفلاني . ولقد عثر على رقيم في مدينة الوركاء يحمل الملاحظة التالية : لقد تمت إستعارة النسخة الثانية لأحد الرقم من قبل الملك سرجون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م) وتمت اعادته[٤١] .

ومما لاشك فيه أن الكتاب كانوا ينفذون الاوامر الملكية بكل جد ومثابرة وهذا ما كشف عنه فعلا في أطلال نينوى حيث عثر على كتابات كثيرة من هذه المكتبة ، وان العمل الذي يقام به هؤلاء الملوك الاشوريون المتأخرون كان أكثر من جمع وإستنساخ المواد والكتابات التي وجدت في المكتبات القديمة أو أنهم بعد أن إستنسخوا النصوص المكتوبة باللغة السومرية شرعوا بمهمة اعادة ترجمة مادة كل هذه المجموعة الى لغتهم المحلية وان القصص السومرية القديمة نشروها على حالها كما وجدت ولكنهم أدخلوا بين سطورها ترجمة باللغة الاشورية وهذه العملية بالطبع يتطلب إنجازها مدة كبيرة من الوقت الى جانب عدد كبير من الكتاب والادباء والمثقفين وان البلاطات الملكية كانت في تلك الازمان مراكز حضارية وثقافية مهمة كتلك التي قامت برعاية العلوم في عصر النهضة من القرون الوسطى ومع أن نظام التعليم لديهم كان متطوراً إلا أن المترجمين كانوا يلاقون صعوبة في تفسير النصوص القديمة ذلك لأن اللغة التي هم بصدد ترجمة نصوصها كانت قد ماتت قبل أكثر من ألف سنة[٤٢] .

ان المكتبة الوحيدة المعروفة الان معرفة تامة هي مكتبة أشور بانيبال التي وجدت خلال التنقيبات في العراق ولقد وضع الادباء في حوزتها عدداً كبيراً من النصوص المدونة بلغتين إذ ساعدت هذه على تفسير اللغة السومرية نظرا لوجود الاشورية الى جانبها . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان تأسيس المكتبات لم يكن من مميزات العصر الاشوري الحديث . وأنه لمن الصعب حقاً أن نقول : ان المكتبات الاشورية كانت مفتوحة للجمهور أو غير مفتوحة ويجوز ان يكون الاشورين قد فعلوا ذلك[٤٣] .

---

(٣٤) M.Jastraw, JAOS, ibid, pp-180-81.

(٣٥) N .Guby, the road to Nineveh,London,1965,p.245.

(٣٦) جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦ .

(٣٧) ادور وكيبرا : كتبوا على الطين (مترجم) ص ١٨٩ .
L.Waterman, RCAE, p .213.

(٣٨) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » حضارة العراق جـ ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٦٩ .

(٣٩) المصدر السابق ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٤٠) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » ، حضارة العراق جـ ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٠ .

(٤١) المصدر السابق ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(٤٢) ادور وكيبرا : كتبوا على الطين (مترجم) ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٤٣) المصدر السابق ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

أن الملك الاشوري اشور بانيبال كثيراً ما نجده يفتخر ويعتز بمعرفته التامة بالكتابة المسمارية وهذا يدل على أن هذا الملك كان ذا ذوق أدبي رفيع واصيل وكان ايضاً متحمساً للحفاظ على كل علوم ومعارف عصره وهذا مما قاده الى ان يبني في قصره بمدينة نينوى المكتبة التي تحمل اسمه ومع ذلك لم يكن أشور بانيبال الملك الوحيد الذي أدرك فكرة تكوين مجموعة من الالواح تشتمل على جميع فروع المعرفة (أي تأسيس مكتبة) إذ سبقه في إدخال هذه الفكرة كثيرون ومنهم سرجون الثاني مؤسس السلالة الحاكمة ولكن عمل أشور بانيبال هو الذي أتم المهمة بنجاح ووسع مجالها بطريقة لم يسبق لها مثيل(٤٤).

ان الكثير من المؤلفات في فروع العلم والمعرفة قد نقلت كما هي من المكتبات البابلية القديمة، إذ انكب علماء البلاط الاشوري على استنساخ ألواحها بالكتابة الآشورية مع اضافة بعض التذييلات لها واحتفظ بالنسخ المنقولة عن الاصل في قصر الملك آشور بانيبال(٤٥).

أن معظم الرقم الطينية التي ضمتها المكتبة كانت قد جمعت من مصادر ومدن مختلفة والكثير منها لم يعد الى مكانه الاصلي والدليل على ذلك هو الهوامش المذيلة ببعض أسماء الكتبة والذي يعرف بالمصطلح اللغوي (الكولوفوت) والتي تحمل نسب الكاتب وأحياناً ألقابه أيضاً.

ووجد في مكتبة نينوى نوع من التصنيف للرقم الطينية يدعى بالتصنيف الملكي حيث خصصت أماكن للألواح الهامة فوق أبواب المداخل ونقشت قائمة بالمحتويات بحسب ترتيبها على الرفوف، أو في أوعية أو صناديق فخارية أو جرار كبيرة(٤٦).

إن أساليب الختم والفهرسة التي استعملت في هذه المكتبة كانت متقدمة على الاساليب المماثلة التي استعملت في المكتبات المصرية والحثية، إذ أن الرقم الطينية رتبت بحسب موضوعاتها التي تكتب عادة أما في الزاوية العليا للرقيم، أو على بطاقات تعريفية منفصلة توضع على الرفوف(٤٧).

ومما تجدر الاشارة اليه في صدد مكتبة آشور بانيپال هو أن فهارسها والتواقيع التي على ألواحها وختم المكتبة واسم صاحبها وبعض الملاحظات الاخرى مما عثر عليها في هذه المكتبة، بينما كانت المكتبات الاخرى سواء أكانت حكومية أم مكتبات معابد خالية من هذه الأمور(٤٨).

لسنا بحاجة الى أعادة وصف الألواح والمؤلفات المطولة وكيف أنها كانت ترقم، ولكن مانحتاجه هو أن نضيف الى القول أن العالم القديم ـ كما نجد في الوقت الحاضر ـ قد عرف ذلك النوع من البشر الذي لايستطيع أن يقيم أغناء مكتبته على حساب أنسان آخر، ولقد اتخذت مثل هذه الاحتياطات وأشهرها كان يتمثل بوضع الألواح تحت حماية الاله كما قيل عن بعض الالواح السابقة للعصر الآشوري بأنها تحمل اللعنة على كل من يعامل الألواح معاملة سيئة ولا يرجعها الى محفظاتها أو يسرقها أو يزورها أو يحرف في نصوصها وفي ذلك أشارة واضحة لنظام الاستعارة الذي كان سائداً في المكتبات القديمة(٤٩).

والواقع أن محتويات مكتبة آشور بانيپال هي أقل بقليل من أن تكون تاريخاً أدبياً مختصراً لهذا العهد المشرق من حكم السلالة السرجونية، أن الانجاز الرئيس لهذا العهد مثله كمثل العهود السابقة يتمثل في أن تزدهر الأمكانات الكافية من قبل كما حرص آشور بانيپال على عدم أدخال التغييرات الاساسية(٥٠).

ويبدو أن آشور بانيپال قد ضم الى مكتبته الخاصة ماكان لدى أشخاص معينين من كتب والواح وبهذه الطريقة نلاحظ أن مجموعته كانت تتألف من عدد كبير من الالواح كانت تحمل العبارات الآتية:

نابو ـ زقب ـ كين Nabu-Zuqub-ken، وهذا ابن الكاتب (مردوخ ـ شم ـ أقيش Marduk-sum-iqis) الذي هو سليل الكاتب الاكبر المدعو (أكبّي ـ أيلاني ـ أيرش Gabbi-ilani-eres)، وإن نابو ـ زقب ـ كين هذا كان والداً للشخص المدعو (عشتار ـ شم ـ ايرش)

الذي كان المشاور الاكبر في عهد أسرحدون وآشوربانيپال وكان يسكن في مدينة النمرود تحت حكم سرجون الثاني وابنه سنحاريب وان جده الاول المدعو (كبّي ـ ايلاني ـ ايرش) عمل كاتباً أكبر للملك آشور ناصر بال الثاني وإن جميع الالواح العائدة لهذه العائلة المثقفة اختارها آشوربانيپال من (عشتار ـ شم ـ ايرش) ولربما كان هذا الشخص قد عينه الملك لأدارة مؤسسته الجديدة ـ أي بعبارة اخرى ـ كان أول مدير عام لمكتبة ملكية في نينوى على الرغم من أن هذا المنصب كان في الحقيقة موجوداً(٥١).

---

(٤٤) جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور. ترجمة: سليم طه وبرهان عبد. بغداد. ١٩٧٩. ص ٣٢٠.

(٤٥) R.W.Rogers, Ahistory of Babylonia and Assyria, Vol.2, NewYork, 1900. P.279

(٤٦) فؤاد قزانچي: "مكتبات وادي الرافدين". مجلة الجامعة المستنصرية، عدد ٣، بغداد. ١٩٧٢، ص ٤٥٤

(٤٧) المصدر السابق، ص ٤٥٥

(٤٨) كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق. بغداد، ١٩٤٨. ص ٥٣ ـ ٥٤.

(٤٩) جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور (مترجم) ص ٣٢١.

(٥٠) المصدر السابق ص ٣٢١.

(٥١) عبدالهادي الفؤادي: دور الثقافة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة. بغداد. ١٩٦١. ص ١٤٩.

وفي الآونة الأخيرة تم العثور على مكتبة اخرى في موقع سپار (أبو حبة) في منطقة اليوسفية تضمنت العديد من النصوص المسمارية التي وضحت الدراسة الاولية لها ، أنها تضم نصوصاً لكتابات ملكية ونصوصاً في الرياضيات والفلك ومعاجم لغوية وستتوضح محتويات هذه الرقم في المستقبل بعد أن تتم دراستها بشكل متكامل وبذلك تُعد هذه المكتبة أقدم من مكتبة آشور بانيپال في نينوى .

خزانات الألواح :

١ أما الصنف الثاني من المؤسسات التي كانت مرتبطة أرتباطاً وثيقاً بالمدارس والمعابد أيضاً ، فهي ماتسمى « خزانات الالواح » (الارشيفات) التي كانت تعرف بأسم « أي ـ دب ـ با e-dub-ba » ومعناها (بيت الألواح) ويستعمل هذا المصطلح أيضاً ليؤدي معنى المدرسة وكذلك عرفت أيضاً بأسم « أي ـ كشبا e-kisiba) ومعناها (بيت الاختام) ولقد وضع سكان العراق القدماء هذه البيوت تحت حماية الاله (خاني hani)[٥٢] الذي كان يمثل على الارض (حامي خزانات الألواح) وتعني باللغة السومرية «pisan-dubba»[٥٣].

إن المعابد الكبيرة تحتاج في أعمالها الى فهارس واسعة وقوائم ومستنسخات وكانت تجمع هذه الوثائق والفهارس وكل السجلات المتعلقة بشؤون المعبد ، كقوائم املاك المعبد وحاصلاته وواردااته وتوضع في خزانة خاصة لحفظ هذه الألواح اضافة الى ذلك كانت تحفظ فيها المراسلات الملكية مع الملوك الاجانب وجداول الضرائب والقرارات القضائية والوثائق الرسمية المختلفة .[٥٤] ومثال على ذلك أننا وجدنا أن الملوك الآشوريين كانوا قد بعثوا بتقارير موسعة عن حملاتهم العسكرية الى معبد الاله آشور في مدينة آشور[٥٥] . ومنهم الملك سرجون الثاني الذي بعث برسالة مفصلة عن نتائج حملته الثامنة الى معبد آشور[٥٦]

وربما كان الكاهن خازناً لكتب المعبد ومن واجباته العناية بحفظ الالواح والاستعاضة عن الالواح القديمة المهشمة أو ذات الكتابة غير الواضحة باخرى جديدة ذات كتابة سليمة واضحة مثلما هو واجب مدير المكتبة في الوقت الحاضر[٥٧] .

لم تقتصر خزانات الالواح على تلك التي كانت ملحقة بالمعابد أو المدارس بل نجد أن الحكومة كانت هي الاخرى تمتلك (خزانات للالواح حيث كانت تضع فيها الوثائق والمستندات السياسية والشخصية ولقد عثر في نينوى في مكتبة آشور بانيبال على كتابات ووثائق كثيرة : مثل عقود رسمية ورسائل ووثائق قانونية وهي تشير الى حقيقة أنها لم تأت من المكتبة الملكية ولكنها بالاحرى تعود الى خزانات الالواح الرسمية الآشورية[٥٨] .

إن كهنة كل معبد كانوا ملزمين بالحفاظ على الشعائر الدينية وكانوا يقومون بالحفاظ على الكتب الطقوسية ، فمن ذلك مثلاً أن عهد الى كتبة كل معبد تدوين التفاصيل الضرورية وذلك للحفاظ على الشعائر الدينية من جيل لآخر ، كالتراتيل والصلوات والرقى ومجموعة النصوص المتعلقة بالفأل وكانت أيضاً ملاحقها التي تمس مباشرة الطقوس والمعتقدات المتداولة والاساطير والقصص الدينية تحفظ في خزانات الالواح بكل معبد[٥٩] .

وكانت حينذاك مجموعات من المدونات الرسمية والنصوص الدينية والقطع الأدبية والتأريخية وما يتعلق بالحياة اليومية ، من بيع وشراء وما الى ذلك ، تجمع في مواضع معلومة من « المعابد » و « القصور الملكية » وبعض دور الخاصة ويطلق عليها « دور السجلات » أو « بيوت الرقم » وكان أمر الثقافة عند البابليين منوطاً بالكهنة الذين يستمدون عملهم من نابو مبتدع الكتابة والرسائل وصنوف المعرفة وسيد « بيوت الالواح » (أي الكتب) والمراد بذلك « خزائن الكتب » ويحتوي

---

(٥٢) الاله خاني : وهو اله من أصل حثي وربما أصلا من بلادوادي الرافدين وقد سلبه الحثيون عند استيلائهم على بابل عام ١٥٩٠ ق . م في عهد حكم مورسيلس الأول واتخذوه الها لهم .
المصدر : جروج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٣٤٢ .
E.A.Sturte Vant, Ahittite Clossary, philadelphia, 1936,P.41.
J.Friedrich, Hethitishes wortrbuch, HEIELBERG, RLA, Band 4,p.10. 1952, p-50.
A.Deimel ,panitheon Babyonicum,Romae,1914,p-130.

(٥٣) عبد الهادي الفؤادي : دور الثقافة في العراق القديم . رسالة ماجستير غير منشورة . بغداد ، ١٩٦١ . ص ١٥٠

(٥٤) W.Budge, Babylonian life and history, london, 1925,pp.199-200

(٥٥) عبد الهادي الفؤادي : المصدر السابق ص ١٥٠

(٥٦) د . فاروق الراوي : « العلوم والمعارف » ، حضارة العراق جـ٣ . بغداد . ١٩٨٥ ، ص ٢٧٦ .

(٥٧) W.Budge ,Babylonian life and history, London, 1925,pp-200-201.

(٥٨) عبد الهادي الفؤادي : دور الثقافة في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١٥١ .

(٥٩) M.Jastrow, The Civilization of Babylnia and Assyria, London, 1915,p.276.

(٦٠) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق . بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٤٢ .

(٦١) كريمر : من الواح سومر ، ترجمة : طه باقر ، بغداد . بدون سنة طبع . ص ١٧١ .

المعبد عادة على حجرة تضم مجموعة من الالواح أو مايطلق عليه « خزانة كتب المدرسة » ليستعملها تلامذة الكهنة وما عدا هذه الخزانة المدرسية حجرة أوسع تخزن فيها بجاميع الالواح المكتوبة التي فيها مدونات الرقى والكهانة والفأل ونصوص دينية وسحرية شتى[٦٠] .

ويوجد في متحف جامعة بنسلفانيا لوح يمثل فهرس كتب قديم وهو صغير الحجم لايتجاوز طوله (١٢,٥ انج ـ بوصة) وعرضة (١ $\frac{1}{2}$ أنج ـ بوصة) وهو في حالة سليمة من الحفظ وكامل تقريباً مع صغر حجمه أستطاع الكاتب أن يقسّم كل جانب منه الى حقلين ، ويستعمل خطاً دقيقاً لكي يفهرس عناوين أثنين وستين عنواناً من التأليف الأدبية في هذا اللوح الصغير[٦١] .